

# سيد قطب بين الرومانسية والواقعية الإسلامية

مسلم كرجي

طالب دكتوراه ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أصفهان ، ايران  
yazahra.moslem@gmail.com

الدكتور سردار اصلاني (الكاتب المسؤول)

أستاذ مشارك ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أصفهان ، ايران  
sardareaslani@yahoo.com

الدكتور محمد رحيمي

أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أصفهان ، ايران  
rahimim65@gmail.com

## Sayyid Qutb between Romanticism and Islamic Realism

Muslim gorji

PhD student , Department of Arabic Language and Literature ,  
University of Isfahan, Iran

Dr. Sardar Aslani (Responsible Author)

Associate Professor , Department of Arabic Language and Literature ,  
University of Isfahan, Iran

Dr. Muhammad Rahimi

Assistant Professor , Department of Arabic Language and Literature ,  
University of Isfahan, Iran

### **Abstract:**

Syed Qutb lived a fruitful literary life. This literary and critical life began with poetry in the twenties of the twentieth century. It continued to write stories and literary criticism in the forties of this century and after. This life did not last on a single pace, but rather changed with the intellectual and political life of a writer, especially when Sayyid Qutb turned to Islamic literature and realism. And then we see that before the forties he belonged to the romantic literary school and then to Islamic realism. And between these two periods, he oscillated between the schools of romance and realism, while at times he came close to realism, and sometimes he moved away from it. The thinking writer excelled in combining them and adopted the same literary specifications - such as the style of imagination, subjective and literary experience, and attention to details - to complete his literary works and to build his critical ideas. We find him approaching his romantic imagination to realism, and his realistic experience approaching romance. The attention to details makes him pay attention to the romantic, imaginative details at times and the details of his real daily life at other times. Soon, Islamic realism took root in his ideas and literary works, and its influence was clearly noted in his intellectual, literary and artistic stances. It is necessary to shed light on his literary works and his critical views anew, to monitor these commonalities and to identify the distinctions of his Western and Islamic realism before and after the forties. This life, full of unique intellectual and literary experiences, is what made us search for this topic, and the method of research is historical, using the descriptive-analytical method.

**Key words** : Sayyid Qutb , romanticism , realism , Islamic realism .

### **الخلاصة :**

عاش سيد قطب حياة أدبية مثمرة ومؤثرة، ابتدأت بالشعر في العشرينيات من القرن العشرين وإستمرت بكتابة القصص والنقد الأدبي في الأربعينيات من نفس القرن وهذا عبر تأرجحه بين الرومانسية والواقعية الإسلامية. انطلاقاً من هذا المبني الرئيس، يهدف هذا البحث بالمنهج الوصفي - التحليلي إلي أن يلقي الضوء علي دور سيد قطب في تعزيز مبادئ الواقعية الإسلامية وتلقيها بالرومانسية وكيفية توظيفه لهاتين المدرستين.

يبين أهم نتائج هذا البحث أن سيد قطب انتمى قبل الأربعينيات إلي المدرسة الأدبية الرومانسية ومن ثم أخذت تظهر في آثاره ملامح الواقعية الإسلامية؛ هذا وقد أجاد هذا الأديب المفكر في الجمع بينهما وتبنى بالمواصفات الأدبية الواحدة - كأسلوب الخيال والتجربة الذاتية والأدبية والاهتمام بالتفاصيل - لإنجاز أعماله الأدبية ولبناء أفكاره النقدية. إذ نجده في خياله الرومنسي يقترب من الواقعية وفي نفس الوقت تدنو تجربته الواقعية إلي الرومنسية.

**الكلمات المفتاحية:** سيد قطب، الرومانسية، الواقعية، الأدب الإسلامي.

## ١ - المقدمة

كانت للمدارس الأدبية دور كبير في توجيه الأدباء والنقاد في نشاطاتهم الأدبية أو النقدية. من أهم هذه المدارس التي جابت أنحاء العالم ووصلت إلي الأدب العربي، هما المدرستان الرومانسية والواقعية. أقبل الأدباء والنقاد في أكثر البلدان العربية إليهما وخذو حذو المدرستين في إنشاء الشعر وكتابة القصص وكتابة المقالات الأدبية والنقدية. كما نعلم أن اتجاه الأدباء إلى أية مدرسة من المدارس الأدبية يعطي لهم فرصة لمعرفة مبادئ هذه المدارس وأصولها ومناهجها، ومن ثم يمكنهم من أن يميزوا أنفسهم بميزات هذه المدارس في أعمالهم الأدبية، وتبدو ملامح هذه المدارس في كل أعمالهم، ومن اليسير رصد هذه الملامح وكأنها رأس النفيضة للوصول إلي فكرة الأديب ومراميها المتوخاة، وليس موضوعاً عسير المنال أن يبحث ناقد عن ملامح مدرسة في أعمال مؤيديها. ولكن إذا جمعت ملامح المدرستين في أعمال أديب واحد فإن رصدها يكون علي درجة كبيرة من الصعوبة والحساسية، لأن النزعة الرومانسية والنزعة الواقعية بما فيهما من الميزات المغناطيسية- كالمدرستين المتعاكستين- تجذبان بعض الأدباء وتطردان بعضهم، و ملامح هاتين المدرستين عندما جمعت في عمل أدبي، تتسم بتعدد الأساليب وإختلاف المفاهيم وتعارض التعابير، خاصة فيما يعرف بمستويات التحليل .

أما في مصر فنجد أديباً وناقداً وصحفيّاً ومفكراً قد أجاد الجمع بين المدرستين المختلفتين، اسمه " سيد قطب ابراهيم حسين الشاذلي " الذي إهتم بالقواسم المشتركة بين المدرستين المختلفتين. لقد كان سيد قطب مفكراً وأديباً لامعاً مكثراً في الإنتاج الفكري والأدبي وفي آثاره آراء خاصة وجديدة نسبياً في المجالات الأدبية والإنسانية، مع وجود ملاحظات متباينة ومختلفة عنه، «كان

سيد قطب "مكثراً" من الكتابة في الصحف والمجلات، يكتب في صحف يومية، ومجلات و صحف أسبوعية، يكتب نثراً ونظماً، ويكتب مقالات أدبية نقدية، أو تربوية، أو اجتماعية، أو سياسية» (الخالدي، ١٩٩٤م: ٩٤) وقد إهتم الدارسون بدراسة شخصية سيد قطب في المجالات السياسية والاجتماعية لكن شخصيته الأدبية والنقدية حظيت باهتمام أقل، ولا يتجاوز هذا الجهد القليل إلا عن دراسة أعمال سيد قطب الرومانسية. الثقافة الأدبية والموهبة النقدية عنده وهي ما تجعله يجيد الجمع بين مدرستي الرومانسية والواقعية. كما تدفعه إلي أن ينصرف إلي الواقعية الإسلامية. هذا الجمع وهذا التآرجح وهذا الإنصراف قد اجتمع في شخصية "سيد قطب" الأدبية، لذا نجد شخصيته معقدة لا يمكن تعريفها إلا بعد دراسة دقيقة ونظرة فاحصة في أعماله الأدبية وآرائه النقدية. من هنا تبرز أهمية دراسة أعمال سيد قطب الأدبية وآرائه النقدية من جديد؛ كما تبرز ضرورة تسليط الضوء عليها من منظور جديد لكشف ما خفي عن المفكرين والنقاد والباحثين الذين راموا جميعهم تسليط الضوء علي ملامح الرومانسية في شعره فحسب؛ وتركوا رصد ملامح الواقعية والواقعية الإسلامية والقواسم المشتركة بين الرومانسية والواقعية عنده.

## ٢- أسئلة البحث

يحاول البحث من خلال هذه الدراسة الإجابة علي الأسئلة الآتية:

١- كيف تنعكس القضايا الواقعية والرومانسية في أعمال سيد قطب الأدبية وآرائه النقدية؟

٢- ما القواسم المشتركة بين أعمال سيد قطب الأدبية والنقدية في الرومانسية والواقعية؟

## ٣- خلفية البحث

لعل أبرز الأعمال التي اعتنت بدراسة أعمال سيد قطب الأدبية كما يلي:

- ١- كرة اللهب - التراث الفكري والأدبي لسيد قطب (عبد الحميد ضحا ٢٠١٩م) قام الباحث بالتعريف لكتب سيد قطب الأدبية وغير الأدبية و قدم نبذة من كل كتاب .
- ٢- سيد قطب، حياته وأدبه (عبد الباقي محمد حسين، ١٩٩٣م) تناول الباحث حياة الكاتب وتطرق إلي شتي جوانبه، وركز علي أدبه وعلي أغراضه الشعرية وعلي رومانسية قصائده، وشرح بعض أبياته كما تطرق إلي دراسة بعض آرائه النقدية.
- ٣- سيد قطب وملامح الرومانسيه في شعره (علي سليمي، فاروق نعمتي، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية ١٣٩١ش) وصف الباحثان تأثر سيد قطب بمدرسة العقاد وعالجا ملامح الرومانسية عنده «كالحنين إلي الوطن وذكريات الماضي، والشعور بالغربة الروحيه العميقة، و الذوبان في الطبيعه والتحدّث معها، والحبّ والتغزل، والسياحه في عالم الخيال، والثورة علي المجتمع وأفكاره، والاشادة بالحرية، و الاحساس بالألم والحزن»(سليمي / نعمتي، ١٣٩١ش).
- ٤- الاغتراب ومظاهره في شعر سيد قطب (دراسة وتحليل): (فاروق نعمتي، جهان گير اميري، علي سليمي وعبدالسلام كريمي ١٣٩٣ش) والباحثون في هذه المقالة قاموا «باستقصاء أنواع الاغتراب ومن ثم تطبيقها علي نماذج شعرية لسيد قطب كأديب بارز في الشعر المصري المعاصر.»(نعمتي والزملاء، ١٣٩٣ش).
- ٥- التحليل النفسي للموضوعات المشتركة في قصائد سيد قطب وديوان شهر يار التركي: (علي احمدزاده وكبري روشنفكر ١٣٩٥ش). قام الباحثان بالتحليل النفسي لشخصية سيد قطب وشهريار من خلال دراسة أشعارهم، وتم استخدام الموضوعات المشتركة التي تعد من أبرز القواعد الرومانسية لهذين الشاعرين، «مثل الطفولة والحزن

والشيخوخة، وآليات الدفاع المختلفة مثل "العودة الزمنية" و"التكرار" و"الفصل" و"التوحيد" وما إلى ذلك.» (احمدزاده، روشنفكر، ١٣٩٥ش).

٦- سيد قطب شاعراً (دراسة وتحليل في خصائصه الشعرية) (فاروق نعمتي، علي سليمي وجهانگير أميري ٢٠١٤م) إعتنى الباحثون بشاعرية سيد قطب وعدوه من الأدباء الرومانسيين وعندهم « يظهر من شعر سيد قطب إنه أميل إلي التجديد في شعره منه إلي المحافظة ويميل إلي الرومانسيّة باجتياحه الذهني المتأثر بمدرسة "الديوان" وشخصيّة العقاد" (نعمتي والزملاء، ٢٠١٤م).

٧- دراسة مقارنة للرومانسية في قصائد سيد قطب ونادر نادرپور (يحيي معروف وفاروق نعمتي ١٣٩٠ش) وتناول الباحثان ملامح الرومانسية في أشعار سيد قطب ونادر نادر پور ومن أبرز هذه الملامح «الحنين إلي الوطن والإغتراب والشعور بالألم والمعاناة واللجوء إلي ذكريات الماضي والانسياب في الطبيعة والحب.» (معروف/نعمتي، ١٣٩٠ش).

٨- الرومانسية في شعر سيد قطب (ريحانة ملازاده ١٤٣١ق) وقد جعلت الباحثة موضوعات ديوان سيد قطب مصدراً لدراسة ملامح الرومانسية، وقامت بالتحليل البلاغي لبعض الأجزاء من قصائد الشاعر (ملازاده، ١٤٣١ق).

٩- سيد قطب وتراثه الأدبي والنقدي (حسن سرباز ٢٠١٠م) والباحث بدراسته لأعمال سيد قطب النقدية والأدبية انتهى إلي إنه «غلبت علي شعره النزعة الرومانسية باجتياحه الذهني المتأثر من مدرسة الديوان، والوجدان المتأثر من مدرسة أبولو. وخلا شعره من المدح والفخر والهجاء والغزل الحسي الفاحش.» (سرباز، ٢٠١٠م).

## ٤- سيد قطب بين الرومانسية والواقعية

ينظر البحث هنا إلى حياة سيد قطب نظرة خاطفة ومن ثم يتطرق بتفصيل إلى ملامح الأدب الرومانسي والواقعي عنده.

### ٤-١. نبذة عن حياة سيد قطب الأدبية

إذا أردنا أن نوجز في بيان حياة "سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي" - فإنه ولد في قرية "موشة" (محافظة أسيوط) عام ١٩٠٦- ويمكننا أن نستند بقول سيد قطب نفسه في بيان مراحل حياته التي قسمها إلى خمسة أقسام هي:

«الأولي: نشأته علي تقاليد الإسلام في الريف وبيئته. الثانية: انتقاله إلي القاهرة، حيث انقطعت كل صلة بينه وبين نشأته الأولي وتبخرت ثقافته الدينية الإسلامية. الثالثة: مروره بمرحلة الارتباب في الحقائق الدينية إلي أقصى حدود. الرابعة: إقباله علي القرآن، والنظر فيه لدواع أدبية. الخامسة: تأثير القرآن فيه حيث تدرج به إلي الايمان والالتزام.» (الندوي، ١٩٧٩م: ١٨٩).

أضف إلي ذلك أنه - بين (١٩٢٥م-١٩٤٥م في العشرينيات القرن العشرين) - كان أديباً عند الأدباء وهو شاعر وكاتب قصص للاطفال. وهو - بين (١٩٤٥م-١٩٥٠م في الأربعينيات القرن العشرين) - كان ناقداً عند النقاد، ناقد أدبي. وهو - بين (١٩٥٠- ١٩٥٤ في الخمسينيات القرن العشرين) - كان مفكراً عند المفكرين، مفكر اسلامي. وهو بين - (١٩٥٤م-١٩٦٥م في الستينيات القرن العشرين) - كان مكافحاً شهيداً عند الإخوان المسلمين، رجل مسلم مكافح سياسي.

ومن ثم لايمكن دراسة شتي جوانب شخصيته وحصرها بين دفتي هذا البحث لذا سنكتفي بعرض حياته الأدبية، أديباً وناقداً قبل الأربعينيات وبعدها وهذا من خلال دراسة آثاره بين ١٩٢٥م-١٩٦٠م.

فأمّا أعماله الشعرية فتبدأ بقصيدة "وردة ذابلة" عام (١٩٢٥م) وتنتهي بقصيدة "أخي" عام (١٩٥٧م). ولكن أعظم أعماله الشعرية كانت في عام

(١٩٣٤م). وديوانه المعروف "الشاطي المجهول" وقصيدته المعروفة "الكأس المسمومة".

أما أعماله القصصية فتبدأ بكتاب "طفل من القرية" عام (١٩٤٦م) وتستمر بقصة "المدينة المسحورة" عام (١٩٤٦م) وتنتهي بأعماله القصصية للأطفال (روضة الطفل والقصص الديني للأطفال) عام (١٩٤٧م) وفي نفس السنة كتب قصته الشهيرة "الأشواك".

وأعماله النقدية تبدأ بكتاب "مهمة الشاعر في الحياة" عام (١٩٣٣م) وتبعه "التصوير الفني في القرآن عام (١٩٣٩م) وتستمر في "أطياف الأربعة" عام (١٩٤٥م) و"كتب وشخصيات" عام (١٩٤٦م) و"مشاهد القيامة" عام (١٩٤٧م) وتنتهي بكتابه الشهير "النقد الأدبي: أصوله ومناهجه" عام (١٩٤٨م).

إنّ دراستنا لأعمال سيد قطب الأدبية شعراً أو قصة أو نقداً، تنطلق من الحقيقة التي تكمن في تعريفه للعمل الأدبي، لذا نراه يتأرجح بين الرومانسية والواقعية وإجمادته في الجمع بينهما. وطالما نتحدث عن الرومانسية والواقعية في الأدب، فلعلّه من الملائم أن نبحث عن هذه التعاريف في ما حصل عليه سيد قطب وهو يري العمل الأدبي معبراً « عن التجربة الشعورية في صورة موحية. » (قطب، ٢٠٠٣م: ١١). ومن منطلق هذا التعريف ننظر إلي الرومانسية والواقعية في أعماله، وخلال تحليلنا سنستهلّ باستعراض ملامح الرومانسية في أعماله وسنعقب ذلك بأن ننظر إلي القواسم المشتركة بين الرومانسية والواقعية في أعماله الأدبية وسوف نطلق بعد ذلك إلي رصد الواقعية الإسلامية فيها.

## ٢-٤. ملامح الرومانسية في أعمال سيد قطب

لم يخرج سيد قطب عن أوزان الشعر التقليدية، رغم أن بعض كلماته المستخدمة تحتاج إلي الشرح وتفسير النحاة واللغويين، مع ذلك فإن مضامينه الشعرية تبدو رومانسية المذهب.

لفظة الرومانسية مشتقة من الكلمة ( romanus ) التي أطلقت علي اللغات والآداب التي كانت تعتبر في القرون الوسطي كلهجات عامية للغة الرومان القديمة أي اللغة اللاتينية. والرومانسية إحدي لهجات سويسرا. وقد قصد الرومانسيون باختيارهم هذا اللفظ، عنواناً لمذهبهم إلي المعارضة بين تاريخهم، وأدبهم، وثقافتهم القومية أي الرومانسية؛ وبين التاريخ والأدب، والثقافة الإغريقية، واللاتينية القديمة التي سيطرت علي الكلاسيكية، وقيدت أدبها بما استنبط منها من أصول وقواعد. (مندور، ١٩٩٨م، ٥٩-٦٠)

أما المدرسة الرومانسية فإنها ظهرت في القرن الثامن عشر في فرنسا وسرعان ما راجت في بلدان أوروبية أخرى، وقد ظهرت كرد فعل ضد الكلاسيكية. وعند الحديث عن الرومانسية سرعان ما تتبادر إلي الذهن مسألة ميزات هذه المدرسة ومدى تأثير علم النفس علي أدبائها، وغير خفي أن آثار هذه التأثير أكثر من أن تحصى، فهناك آثار إيجابية وأخرى غير إيجابية؛ بالنسبة لسيد قطب، نجد يستمد آرائه في هذا المجال من إنجازات علماء النفس، خاصة فيما يتعلق بقضايا التعبير. ومن هنا يصبح علم النفس أصلاً رئيسياً عنده في العمل الأدبي في كلتا المرحلتين (في التأثير وفي التفاعل). ولقد تعرض الكاتب لهذه القضية في أكثر من موقف في آثاره النقدية، فقال في أحد تلك المواقف إن: "العنصر النفسي أصيل بارز في "العمل الأدبي" وإذا نحن عدنا إلي التعريف الذي اخترناه منذ البدء للعمل الأدبي، وهو «التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية» وجدنا العنصر النفسي بارزاً في كل خطوة من خطواته فالتجربة الشعورية ناطقة بألفاظها عن إيصال العنصر النفسي في مرحلة التأثير الواعية إلي التعبير، والصورة الموحية ناطقة بألفاظها كذلك عن إيصال هذا العنصر في مرحلة التأثير الذي يوحي به التعبير». (قطب، ٢٠٠٣م: ٢٠٧).

أما من العناصر النفسية التي يستفيد منها سيد قطب في قضية "التعبير" فهي عنصر "اللاوعي": «نستطيع أن نحدد - علي وجه التقريب - عمل الوعي وما

وراء الوعي في الشعر، فنستطيع أن نقول: إن الشعر يستمد معظم موثراته وإنفعالاته من وراء الوعي، وإن الوعي إنما يبدأ عمله عند مرحلة النظم التي لا بد فيها من إختيار ألفاظ خاصة تعبر عن معاني خاصة، وتنسيقها علي نحو معين لتنشأ وزناً معيناً وقافية معينة. ولكن هذا القول لا يمضي علي إطلاقه، وهي حالات شعورية خاصة، يبلغ فيها التأثير والانفعال درجة عالية، قد تتم عملية النظم ذاتها بلاوعي كامل.» (قطب، ١٩٨٣م: ٤٤).

هذه الآراء النفسية إذا تمتزج بأفكار الرومانسية تنتهي إلي أن سيدقطب يري الشعر حالة نفسية قبل أن يكون قضية فكرية وهو خفقة حياة عنده، قبل أن يكون فكرة ذهن، فينبض قلبه قبل أن يلمع فكره. كما يري بأنه نعمة من نعم الحياة وجمالها:

الشعر من نعم الحياة عرفته وعرفت فيه البؤس ضربة لازب  
الشعر ذؤب حشاشة مسفوكة ألماً ووجداً في حنينٍ ذاهبٍ  
(عبدالباقي، ١٩٨٩م: ٥٣).

عندما نتبع آراء سيد قطب، نجده يبحث عن التعبير بين الصورة والظلال وعندما يتحير بين اختيار التعبيرين فهو يميل إلي تعبير أقرب إلي الرومانسية «التعبير الذي يلقي المعني مجرداً، يخاطب الذهن وحده، والتعبير الذي يرسم للمعني صورة أوظلالاً يخاطب الحس والوجدان ... وطبيعي أن الطريقة الثانية أقرب إلي طبيعة الفنون.» (قطب، ١٩٨٣م: ٢٨) وأقرب إلي الطبيعة الرومانسية طبعاً.

وأما في عالم النقد، فهو يلجأ إلي علم النفس ويهدف إلي معرفة شخصية الأديب ويرى بأن هذه المعرفة هي "مفتاح" ضروري للمؤلف وللناقد إذ يري للناقد عملان أساسيان: عمله في الجو العام، وعمله مع كل مؤلف علي حده. فيستنتج أن التعريف بالأديب مفتاح ضروري للمؤلف نفسه ولقرائه الذين

يقرؤون أعماله المتفرقة، حتى الذين لا يدركون الطبيعة الفنية التي تصدر عنها تلك الأعمال.

فضلاً عن تأثير علم النفس علي أعمال وآراء سيد قطب الأدبية والنقدية، نري هذه التأثيرات، في العناوين التي يختارها الكاتب لقصائده كما يبدو للوهلة الأولى أن تعبيره في معظم قصائده تتضمن الحركة بين المفاهيم الرومانسية ولذا قسم النقّاد ديوانه - بناء علي مفاهيمه الرومانسية - بالتمرد والشكوي، والحنين، والتأمل، والغزل، والوصف. وكل هذه المفاهيم رومانسية وملاحمها متناثرة في كل قصيدة ومن هذه الملامح الانسياب في الطبيعة؛ لقد ملأت الطبيعة جزءاً كبيراً من حياته فهو يري نفسه ساكناً وراضياً وآمناً بين أحضانها وهي مصدر إلهامه في الحياة كلها، كما نجده يذوب في الطبيعة ويريد الانسياب فيها فراراً من الواقع وهو يخاطب صديقه قائلاً:

«أريد الإنطلاق، أريد الانسياب في الطبيعة كأنني ذرة منها لا تحس لها كياناً مستقلاً، أريد ألا أحس بالقصد والغاية ولا بالحالات الواقعية المحدودة.. إنني أكره الوعي؛ لأنه نوع من الحدود؟» (قطب، ٢٠١٥م: ٢٢٧).

ومن ملامح الرومانسية السائدة في قصائده فهي: التشخيص والشكوي والحنين ونري كلها في هذين البيتين:

مرياً ليل فقد اشجيتني  
إن لي فيك لشجواً وأسي  
علّ في الصبح هدوءاً أو سكون  
ومناجاة وشكوي وحنين

(حنفي، ٢٠٠٨م: ٢٢٣) (هداة الليل)

ومن هذه الملامح، التشاؤم والتشاؤم مرتع لكل إحساس ومنها "الحب" الذي يعاني منه الكاتب وكان الحب عنده "الفاكهة المحرمة" أو إنه شوك من الأشواك: «من هذه التي تلوح كالسراب: تظمئ الحس وتروي الخيال، وتطمع

النفس، ونيلها مُحال، وتترأى قريبة مني أبداً، بعيدة عني أبداً، كأنه خارجه من قيود الزمان والمكان؟ إنها الفاكهة المحرمة!» (قطب، ٢٠١٥م: ٢١٦)

نكتفي بهذا المقدار من الأمثلة وقد سبق لنا أن أشرنا إلي مقالات تعني بملامح الرومانسية وأمثلتها في أعمال سيد قطب الأدبية، «كالحنين إلي الوطن وذكريات الماضي، والشعور بالغربه الروحيه العميقة، والذوبان في الطبيعه والتحدّث معها، والحبّ والتغزل، والسياحة في عالم الخيال، والثورة علي المجتمع وأفكاره، والاشادة بالحرية، والإحساس بالألم والحزن» (سليمي، نعمتي، ١٣٩١ش). فلا حاجة للتكرار؛ ومع هذا لا بد لنا من أن نشير إلي تأثر سيد قطب بجامعة الديوان برئاسة العقاد. على الرغم من أن أعضائها، مثل المازني والشكري، شجّعوا الشباب والكتاب والشعراء إلي الحداثة والتجديد، بينما تأثر سيد قطب كثيراً بالعقاد وأصبح من مؤيديه ودافع عن آراء العقاد في شتي المجالات، حتي أطلق عليه البعض إسم "المريد". فضلاً عن هذا نجد تأثير سفره إلي أمريكا في أفكاره الرومانسية. ولعل خيبته في الحب لها أكثر تأثيراً في هذه الإنحياز.

ولا بد لنا من أن نتعرض لجوانب أخرى التي أبعدت سيد قطب عن الرومانسية وقربته من الواقعية لذا سنطرق إلي القواسم المشتركة في هذا المجال.

### ٤-٣. القواسم المشتركة بين الرومانسية والواقعية في أعمال سيد

#### قطب الأدبية

من يرصد القواسم المشتركة بين الرومانسية والواقعية يلحظ أولاً أن أبرز قاسم مشترك هو أن تهتم المدرستان بالتجربة كمادة أصيلة للعمل الأدبي، وهناك قاسم مشترك آخر علي درجة من الأهمية وهو أن المدرستين تهتمان بالتفاصيل في الوصف، وفضلاً عن كل هذه القواسم المشتركة. هناك ميزة

مهمة رومانسية النشأة يهتم بها الكاتب وهو "الخيال" إذ يدخله الكاتب في الواقعية، وسنعمد أولاً إلي تحليل مفهوم "التجربة" عند سيد قطب، وبعد ذلك سنسعي إلي رصد التفاصيل في أعماله الأدبية وأخيراً نتصدي لميزة "الخيال" عنده.

### ١-٣-٤. التجربة

تعدُّ قضية "التجربة" من أهم العناصر التي يعتني بها سيد قطب في تعريف العمل الأدبي، إذ يقول: «فما العمل الأدبي؟ إنه التعبير عن التجربة شعورية في صورة موحية» (قطب، ٢٠٠٣م: ١١). من منطلق هذا التعريف، يقوم الكاتب بمقارنة بين "التجربة" في العلم و"التجربة" في الأدب في أكثر من موضع، ولما كانت كلمات الكاتب أكثر تعبيراً عن هذه المقارنة فمن المفيد أن نورد بعضاً من هذه الكلمات ومنها.

«والتجربة في العلم وسيلة إلي غاية أكبر منها، أما التجربة في الأدب فهي نفسها مادته الأصلية. وحين يعني العلم، بوصف مراحل التجربة ليصل منها إلي القانون، يعني الأدب بوصف هذه المراحل، لأن الوصف ذاته هو العمل الأدبي الأصيل، وحينما يصل العلم من تجاربه المتناثرة إلي قانون تفقد هذه التجارب قيمتها، إلّا من الناحية التاريخية، فيصبح القانون هو المظهر البارز للامع، أما التجارب في الأدب فتبقي أبداً محتفظة بمجدها وحرارتها، تنفعل لها النفس كلما استعيدت أو استعيد وصفها لأنها مادة حية مؤثرة علي الدوام.» (قطب، ٢٠٠٣م: ٥٦).

بإجراء هذه الموازنة الدقيقة بين "التجربة" في العلم و"التجربة" في العمل الأدبي، يوضح لنا الكاتب عدة فروق جوهرية بين تجربتين، ولعل الفارق الحاسم بينهما، هو أن التجربة مادة أصلية لكل عمل أدبي، وأن التجربة العلمية تفقد حيويتها بعد الحصول علي النتيجة، ومن ثم لاتصلح التجربة

العلمية أن تكون مادة للعمل الأدبي. وهناك فارق جدير بتسليط الضوء عليه وهو أن الجدة والحرارة التي تنبعث من الأدب تنتهي إلي التأثير والانفعال في المتلقي، علي خلاف التجربة العلمية التي لاتعني باستشارة المشاعر. ولقد فكر الكاتب في هذا الأمر كثيراً وكان مما خرج به أن التجربة العلمية تقتل الشعور والانفعال، وإليك ما أورده الكاتب :

«وأن الشمس لتشرق اليوم، وأن القمر ليطلع، وأن الليل ليرخي سدوله، والملايين بعد الملايين لا يرتاع منهم أحد إلا الأفذاذ القليلين. تلك جناية المعرفة، وثمرتها التجربة! لقد ظل الإنسان يفعل ويفعل كلما طالعت الحياة بوجه جديد حتى جرب وجرب وجرب، وحتى عرف وعرف.. وهنا فقط أعظم ما يناله الحي من الحياة: التأثير والانفعال! ومع ذلك تسمع من يقول: إنضعوا بالتجربة: ازدادوا من المعرفة! ما معنى الانتفاع بالتجربة؟ معناه موت جزء من الحساسية، معناه تجمد منطقة الشعور.» (قطب، ٢٠١٥م: ٢٢٣).

ومن هذا المنطلق، يضيف الكاتب " الشعور " إلي " التجربة" في تعريفه للعمل الأدبي إذ يري العمل الأدبي إنه التعبير عن التجربة الشعورية في صورة موحية؛

وأما ما وصل به سيد قطب ليس بعيداً عما يعتقد به الرومانسيون الغربيون، وعلي سبيل المثال إن التجريبات التي يتناولها الرومانسيون كمادة أصيلة لأعمالهم الأدبية تدور حول مفاهيم: الحب (وقد أشرنا إليه سابقاً)، والأسرة، والدور المركزي للأم، والنحطاط الهوية. ونري كل هذه المفاهيم متناثرة في أعمال سيد قطب الأدبية والنقدية، خاصة قبل الأربعينيات وإليك ما يستخدمه الكاتب من هذه المفاهيم في "الاطياف الأربعة" في سطرين فقط:

«من نحن اليوم يا أمأه؟ بل ما نحن اليوم عند الناس وعند أنفسنا؟ ما عنواننا الذي نحمله في الحياة ونعرف به؟ إننا لم نعد بعد أسرة، ولم يعد الناس

حين يتحدثون عنا يقولون: هذه أسرة فلان. بل أصبحوا يقولون: هذا فلان، وهذا أخوه، وهاتان أختاه.» (قطب، ٢٠١٥م: ٢٠٣-٢٠٤)

وكما هو معلوم أن المفاهيم المذكورة واضحة في هذه الكلمات ومنها: الدور المركزي للأم (يا أمّاه) والأسرة (إننا لم نعد بعد أسرة) ونحطاط الهوية ( ما نحن اليوم ..؟ يقولون: هذا فلان.../ ما عنواننا الذي نحمله في الحياة ونعرف به؟).

وقد يكون من الواجب في هذا المنعطف من المقال أن نذكر أن سيد قطب- في الغالب- يستخدم هذا النوع من مفهوم التجربة في الشعر. وتختلف عنده مجالات "التجربة الأدبية"، لذا نراه يعتقد بأن «التجربة الأدبية» تارة تدخل في الشعر وتارة تدخل في القصة. وأما ما يجوز أن تدخل في الشعر فهو تجربة اللحظات الخاصة في حياة البشر، ومهمة الأديب أو الفنان هي الاهتمام بهذه اللحظات كتجربة جديدة جديرة بالعناية، كأنها فرص خير أقبلت عليه وللأديب أن ينتهز هذه اللحظات السعيدة حتى لا يفقدها، ويشير إلي هذه الفرص قائلاً: «كم في هذه الدنيا من أشياء جميلة، نفقدها كل يوم؛ لأننا لا نلقي إليها أنت باهناً في اللحظة المناسبة. بالأمس كنت في حجرتي منفرداً. كانت أبوابها مغلقة عليّ؛ لأنني في أعقاب توعك زال. وفجأة نظرت إلى النافذة المغلقة، فرأيت الشمس من ورائها توصوص لي بأشعتها. لقد احسست احساساً - غير متوهم - أنها تستأذن عليّ في لهفة، أنها تودّ لو أسمح لها بالدخول. كانت كالصبية الغريرة في مطلع الربيع! وما كدت أفتح لها النافذة حتى أشرق محياها الوضيء بابتسامة عريضة، و راحت تلقي بنفسها في فرح و شوق على أرضية الحجر المتواضعة. كانت كأنها ملكة تتخفف من التقاليد!» (قطب، ٢٠١٥م: ٢٣٣).

وأما ما يجوز أن يدخل في القصة فهو تجارب الحياة للأديب ومن ثمّ، لايسمح الشعر للأديب أن يعرض تجارب حياته الواقعية في الشعر؛ ويرى

الشعر تعبيراً عن اللحظات الخاصة في الحياة غير أن القصة يمكن لها أن تكون تعبيراً عن الحياة الواقعية كلها.

ومن هذ المنطلق، نجد أن سيد قطب، يري التجارب الواقعية كمادة أصيلة للعمل الأدبي وإذ يري القصة هي التي تصلح أن تكون همزة وصل بين الأدب و تجارب الواقع. ومع ذلك، يرفض أن تكون القصة ميداناً للغلو في الاتجاهات الاجتماعية والرمزية والتحليل النفسية، وغير أنه لا يعدّ هذا النوع من القصص فناً، بل هو يقول: «ولكن الغلو في الاتجاه الاجتماعي كاد يحيل القصة توجيهات إجتماعية مباشرة أو نبرات إجتماعية موجهة، علي نحو ما يصنع ويلد في معظم قصصه، لا عملاً فناً يخاطب الحاسة الفنية، ويجري في تاريخ الحياة الطبيعي المرسوم. والغلو في تحليل النفسي كاد يحيل القصة تسجيلاً لمشاهدات معملية! أو محضراً لجلسة تحليل النفسي! وهذا وذاك ليس فناً ولو أخذ الشكل الظاهري للفنون وكذلك حاول بعضهم في وقت ما أن ينشأ قصته رمزية، فانت هينا إلي معميات لا ترسم حياة، ولا تصور نفوساً، ولست أحسب القصة ميداناً لاتجاه الرمزي إذا صح أن الشعر يقبل هذا الاتجاه.» (قطب، ٢٠٠٣م: ٩١-٩٢).

فضلاً عن جميع ما سبق، يدخل سيد قطب "التراجم النفسية" في عالم الأدب، ويرى أن هذه التراجم تضمن شتي تجارب الكاتب في حياته النفسية وحياته في المجتمع وحياته مع أبناء المجتمع، ولذا تصلح تجاربه أن تكون فناً من فنون الأدب؛ ولزم لها أن تضمن الشرطين: "التجربة الشعورية" و"العبارة الموحية عن هذه التجربة"، قائلاً: «التراجم الشخصية فن حديث من فنون الأدب، انفصل عن علم التاريخ، ودخل عالم الأدب من باب الطاقة الشعورية التي يثها الأديب في موضوعه والقيم الفنية التي يضمنها تعبيره

والتراجم علي هذا الوضع تشمل العنصرين الأساسيين للعمل الأدبي :  
"التجربة الشعورية" و" العبارة الموحية عن هذه التجربة.." (قطب  
٢٠٠٣م:١٠٢).

إن ما ترك لنا الكاتب من ترجمة حياته يعدُّ أفضل أنموذج لتجربة الحياة  
لكاتب ما، فهو يدخل كل تجارب طفولته بين دفتي كتاب " طفل من القرية". و  
نراه يصف القرية وما حدث فيها من الأحداث، وإليك ما أورده الكاتب في  
مقدمة كتابه:«هذه صور من حياة القرية عاصرت طفولتي منذ ربيع قرن من  
الزمان، لم أتمق فيها شيئاً، ولم أصنع أكثر من نقلها من صفحة الذاكرة إلي  
صفحة القرباس. قليل من هذه الصور قد زال الآن وحلت محلها صور جديدة  
..وفي تسجيله هنا احتفاظ بصفحات من الحياة القومية والتاريخ الحديث في  
سجل الفنون...»(قطب، ١٤٢٨م:٣). وكذلك الحال عند روايته الشهيرة  
"الأشواك"؛ هو في هذه الرواية يعرض تجربة حبه الفاشلة وفي الحقيقة هذه  
الرواية تعد ترجمة شخصية لمرحلة مهمة من مراحل حياته.

## ٢-٣-٤. الاهتمام بالتفاصيل

لسنا بمخطئين عندما نصرّ على أن الاهتمام بالتفاصيل له أكثر تناسقاً  
بالقصة منه بالشعر، لأن القصة تتمتع لوصف عناصرها المختلفة كالأمكنة  
والأزمنة والشخصيات وما فيها من شتي التفاصيل؛ ولقد كان سيد قطب يجيد  
في استخدام التفاصيل في الشعر والقصة؛ وأما اهتمامه بالجزئيات في الشعر،  
فهو عنده ميزة يفرق بها بين الشعر العالمي والشعر العربي؛ فذهب إلي أن  
الشعر العربي يعاني من هذا الجانب لأنه يغلو في الایجاز، ويهرب من  
التفاصيل، ويفرغ من وصف الحالات النفسية والخواطر الشعورية. ويرى  
العيب كله في بلورة المعاني في شعر الحكم. و-كما أشرنا سابقاً- هو يعتقد بأن

الشعر يصور لحظات من الحياة ويجب أن يغور في وصف هذه اللحظات النفسية، من بداية الشعر إلي نهايته؛

لذلك نجدّه يهتم بالتفصيلات في الشعر ولاسيما في عرض الحالات النفسية والخواطر الشعورية، وهذه الميزة في الشعر أقرب إلي الرومانسية منها إلي الواقعية، و«يعتبر الشعر الغنائي بالنسبة للرومانسية مثلاً رائعاً على المنتج الأدبي الذي يعبر فيه الشاعر عن رد فعل شخصي عميق تجاه المكان أو الحدث أو الموقف، وفهم الشعر هو الفهم العاطفي للشاعر.» (لامارك، ١٣٩٦م: ١٧١). والكاتب في وصف هذه العواطف يلجأ بمعطيات علم النفس خاصة في عملية النقد؛ إذ نجدّه يفضل الشعر العالمي علي الشعر العربي من هذا الجانب، إذ يري أن معظم الشعر العربي يعمد إلي بلورة المعني وقلما يعني بتصوير الحالات النفسية، ووصفها، وبسط التجارب الشعورية. ومن جرّاء ذلك لا يذوق في الشعر العربي ما ذاقه في شعر الأروبي والهندي والفارسي. كما نجدّه يعتني ويعجب بشعر "حافظ الشيرازي" ويبحث فيه عن ضالته في الشعر العربي مقراً: «إن هذه الأغاني تجيء في وقتها المناسب والشعر العربي يعاني أزمة يحتاج فيها إلي مثل هذه الزاد... وأغاني شيراز تاتي في حينها المناسب لتساعد علي إنحسار الموجة الفكرية عن الشعر الحديث... تزيد من رصيد الغناء في الشعر العربي زيادة لها قيمتها... فقاري هذه الأغاني يستروح فيها عطر شرق البعيد، وبساطته، ومرحه، وغيبته وتصوفه، ونحن اليوم أحوج ما نكون إلي استرواح هذا كله... وهذا التصوير لأسلوب حافظ في لغته يبدو- حتي لمن لايعرفون مثلي هذه اللغة- أكثر انطباقاً، لأنه يتفق مع السمات النفسية للشاعر...» (قطب، ١٩٨٣م: ٨١-٦٩).

ونراه يستفيد من هذه الميزة في التعبيرات الرومانسية ويستخدمها في وصف الحالات النفسية لشخصيات قصصه؛ ويقوم بوصف هواجسه وأحاسيسه في قصائده الرومانسية. وكثيراً ما يستفيد منها في وصف الكون والحياة وعناصر

الطبيعة كالوردة والزهرة والشجر و... كأنسان ذي أحاسيس ومشاعر، وعلي سبيل المثال يصف الكون في يوم الخريف بأنه واقف، ساهم، حائر، يأس وسائل:

وقف الكون ساهماً ليس يدري أين يمضي؛ وأين لو شاء يمضي  
طالماً دار بالأنام وداروا بين رفع الحياة وخفض؟  
ثم ماذا؟ تسال الكون: ماذا؟ أحياء ما بين غزل ونقض؟  
(عبدالباقي، ١٩٨٩م: ٢٣٨)

ومن جرّاء هذه التفاصيل، ينتقل الكاتب كثيراً من المعلومات والمفاهيم إلي المتلقي، ومن استغلال هذه التفاصيل يهدف إلي ثراء قصائده وقصصه؛ وعلي سبيل المثال، ندرس بعض هذه التفاصيل في توصيف الشخصيات والأمكنة في "الأشواك" وفي "طفل من القرية" وهذه الأوصاف كثيرة جداً، وسنكتفي بنماذج لتبيين ما ذهبنا إليه. ونري في مثال الآتي كيف يصف الكاتب دورات المياه في قريته "موشة":

«كان في القرية حوالي عشرة مساجد مبنية كلها علي الطراز العتيق. وكانت دورات المياه بها عجيبة فهي مؤلفة من "مغطس" هو حوض مبني من الطوب ومطلي بالسمنت من الداخل والخارج، يملوه عامل خاص يمتح بالدلو من بئر المسجد ويصب فيه حتي يمتلي. وفي الحائط الخارجي للمغطس ركبت صنابير تصل من البناء مباشرة إلي الماء بداخله...» (قطب، ١٤٢٨م: ٣٣).

ويصف شخصية "السامي" في "الأشواك" فيقول: «ولم يكن في حاجة لكل هذا التوكيد. لقد كان أشوق منها لتمضية كل دقيقة بجانبها. كان في نفسه مشاعر غريبة: شعور العطف والاشفاق، وشعور اللهفة والحرمان، وشعور الغيرة والغليان، وشعور التسامي والايثار، وما لا يحصي من هذه الأحاسيس مجتمعات.» (قطب، ١٩٤٧م: ٢٩).

وإليك ما أورده الكاتب لوصف شخصية "المجذوب" في "طفل من القرية": «ولكنه لا يستطيع اليوم أن يسترجع صورتها دون أن يحس في جسده بقشعريرة تتخلل عظامه في صمت كأنما استحال دمه إلي ماء مثلوج. هذا الرجل المشعث الشعر، الممزق الثياب، العاري أحياناً من كل ما يستر الجسد، المنطلق في شوارع القرية وطرقاتها، وفي يده عصاه ينال بها كل شيء وكل أحد، وهو يرسل همهمة مختلطة مخيفة، أو يقهقه في صوت عال مرهوب.» (قطب، ١٤٢٨م: ٤).

ونخلص مما تقدم إلي أن سيد قطب في قصائده يحذو حذو الرومانسيين في وصف التفاصيل، ولكنه في قصصه تارة يكون واقعياً وتارة يكون رومانسياً، ومن الصعوبة بمكان أن نحدد في أية قصة هو يصف الشخصيات رومانسياً وفي أية قصة يصفها واقعياً ولكن يقتضي المنطق أن نستنتج مما سبق بأن الكاتب عندما يقوم بوصف التفاصيل الجسدية لشخصياته والأمكنة والأشياء فيقرب فيها إلي المذهب الواقعي وأما حين يعرض مشاعراً وأحاسيساً للشخصيات والأشياء وغيرها من المفاهيم (كالكون والحياة والطبيعة و...) فهو يقرب فيها إلي المذهب الرومانسي. وبات واضحاً الآن أنه في وصفه لأحاسيس شخصية "السامي" في الأشواك يحذو حذو الرومانسيين وفي وصفه الجسدي لشخصية "مجذوب" في "طفل من القرية" يقتفي أثر الواقعيين.

### ٣-٤. الخيال

عندما تتناول مفهوم الخيال ينصرف الذهن أول ما ينصرف إلي أنه من ميزات الأدب الرومانسي ويمكن أن نقول بأنه أبرزها. لأن الرومانسيين يفرّون من الواقع وليس لهم ملاذاً وملجأ إلا الخيال. ومن ثم يطلقون العنان لخيالهم ويرحلون إلي ما لا يمكن الرحيل إليه في الواقع، فيصورون بهذا الخيال وينظرون بهذا الخيال ويعتقدون به ويسجدون له. لأنه حلّ محلّ العقل في

إدراكهم ومحل العين في نظرهم ومحل الحس في أجسادهم. لذا ما نري شاعراً أو كاتباً رومانسياً إلّا وهو يأخذ هذه المهمة علي عاتقه ويرحل، ويطير "علي بساط الريح" ويقطع علي نفسه عهداً بأن لا يرجع قلباً وقالباً إلي هذه الدار المعمورة إلّا حين يدرك ويحس، ويرى ما يريد بين السماء والأرض، فيبقى معلقاً بينهما، كأنه يصل إلي برّ الأمان، ويرى فيه ما يشبه الحقيقة، وتارة يبعد عنها ليصل إلي آماله البعيدة. أمّا الخيال في رؤية سيد قطب فهو مهمة للشاعر لأنه يعتقد كل الاعتقاد بأنّ خيال الشاعر يختلف عن خيال الناس:

الناس تقنع للحياة وترتضي      منها محاسن شوهدت بمثالب  
والشاعرون توزهم أدرانها      يغونها لم تمتزج بشوائب!  
حس أرق من الأثير، يهيجه      ماقد تمر عليه مرّ اللاعب  
وهي الحياة: لم يرق شعوره      ألمّ وأن يكشف فلذة راغب  
(عبدالباقي، ١٩٨٩م: ٥٣).

ويوثر الخيال وما فيه من الهدوء والسكون والأحلام في قصته الخيالية الشهيرة "المدينة المسحورة"؛ إذ يقول علي لسان الملك شهريار لشهرزاد: «لقد كانت تنقلنا على جناح الخيال إلى عوالم وآباد لامثيل لها فيما نحسه أو نراه. أن العالم المحسوس عالم ضيق يا شهرزاد بل عالم جاف مشوه قبيح. أن الحياة بلا خيال نوع من التحجر، والعيش بلا أحلام حيوانية بليدة... أو لازالت تملكين يا شهر زاد أن تردينا إلى العوالم المسحورة، وإلى الأكوان الحلمة، وإلى الآفاق الوضيئة، التي عشنا فيها ثلاثة أعوام؟» (قطب، ٢٠٠٦م: ١٠). ونري الكاتب في هذه القصة يستخدم الخيال كمادة أصلية لحبكة قصته ولأزمته ولأمكنته ولشخصياتها ولكل ما يمكن أن تقوم القصة عليه. ويمكننا أن نقول إنها تصل إلي ذروة الخيال الرومانسي، ومع هذا فإنّ أحداث القصة وماجري فيها تتشابه مع أحداث الواقع كالسياسة والخيانة وآلام

الشعب ومشاكلهم ومسألة الفقر والحرمان؛ بعبارة أخرى أن الكاتب مشغول فيها بقضايا المجتمع في البلاد لتوجيهه شهريار في إدارة البلاد، ومن خلالها يوجه الفرد والمجتمع نحو حياة أفضل من هذه الحياة المؤلمة، ويستخدم الرومانسية كمفتاح لفتح تلك الأقفال، وحل تلك المشاكل، ومن هذا المنطلق يمزج الرومانسية بالواقعية.

ويجدد بنا أن نشير إلي مصدر إلهامه في كتابة هذه القصة فهو يرجع إلي معاشته للعقاد وطه حسين، ومن خلال مكاتباته النقدية مع توفيق الحكيم، فالعقاد أول من دخل "قصة شهرزاد" إلي عالم الأدب العربي "سنة (١٩١٦م) ثم أخرج طه حسين وتوفيق الحكيم في سنة ١٩٣٦م قصة "القصر المسحور" وأخرج طه حسين وحده في سنة ١٩٤٢م قصة "أحلام شهر زاد" وهو في "المدينة المسحورة" أقرب إلي طه حسين في "أحلام شهرزاد". وربما يأخذ سيد قطب عنوان قصته "المدينة المسحورة" من قصة "القصر المسحور". ولا يتم هذا التأثير إلّا فاعداها أن يقوم سيد قطب بنقد "أحلام شهرزاد" و يقوم في نقده بالموازنة بين العقاد، توفيق الحكيم وطه حسين؛ ليصل إلي نتيجة أن العقاد في قصيدته «هو الأديب المحلل للنفس الإنسانية في الحياة... وتوفيق الحكيم هو الفنان المعني بمسائل الذهن والفلسفة... وطه حسين في قصته هو الأديب يشتغل بمسائل المجتمع...» (قطب، ١٩٨٣: ١١٣). ونستطيع أن نستنتج من كلامه أن مادة القصة تصلح أن تكون خيالية ورومانسية، ومع هذا تهتم بقضايا حياة الواقع في شتي الموضوعات. ومن هذا المنطلق تمزج الرومانسية بالواقعية .

ويمكن لنا أن نري سيد قطب بكلمات محددة يعيدنا عن الخيال الرومانسي ويقربنا إلي الواقع إذ يقول:

«فعجيب أمر هذا الشاعر! فبينما جماعة من الناس يرون من المغالاة أن نشترط فيه ما أشرطنا، ويحسبون أن الشاعر لا يمتاز عن الجماهير بشيء من

احساسه، وإنما يمتاز عنهم فقط، بأنه يستطيع التعبير في أسلوب خلاب ... بينما جماعة يرون ذلك، إذ بأخرين يفهمون في الشعر إنه الخيال المطلق، الذي لا بد- في اعتقادهم - أن يناقض الحقيقة، وهو كلما اشتط بعداً عنها، دلّ علي عبقرية الشاعر في نظرهم ومن هنا نشأت الجملة المحفوظة "أصدق الشعر أكذبه" لأن الشاعر في نظرهم غير مسؤول، و ذلك أحط ما يمكن أن يصور به الشعراء.» (قطب، ١٩٩٦م: ٣٢).

وبناء علي ماسبق، نستنتج بأن الخيال عند سيد قطب يختلف عما يعتقد به الرومانسيون، كما هو الواضح في تعريف الشعر عند "وردزورث" إذ يري الشعر «فيضان تلقائي لأحاسيس قوية» (Charles، ٦٣: ٢٠٠٣) ومن منطلق هذا التعريف يتضح بأن الرومانسيين لا يعتبرون للخيال حدوداً، بل الخيال ليس باختيارهم وهو أمر تلقائي؛ ووجوه هذا الاختلاف تبدو أولاً: إن الخيال عند سيد قطب مهمة ملقاة علي عاتق الشاعر، ثانياً: يجعل حداً للخيال الشعري وثالثاً: إن الشاعر مسؤول عما يصور وعما يقول .

وهنا يرد إلي الذهن أسئلة أهمها: ما هي مسؤولية الكاتب؟ وما هي مهمة الخيال؟ وما مدي حدوده عند سيد قطب؟ للإجابة عن هذه الأسئلة نرجع إلي ما أورده الكاتب في النص الآتي:

«نحسب أن الخيال، هو صلة ما بين الإنسان القاصر والحقيقة المحجبة، التي تدق علي الأفهام، فينبعث الخيال يقرب هذه الحقيقة، وهو في ناحية أخرى صلة ما بين إنسان وآماله البعيدة، التي لا يحققها له الواقع فيبعث إليها بشباك من خياله، يدينها منه، ويقربه إليها، ليست مهمة الخيال إذن يشطط ويبعد عن الحقيقة حين يجدها. وهو إذا يصنع ذلك يفقد طبيعته التي هي ربط الصلة بين الفكر والحقيقة التي لم يهتد إليها بعد، أو بين الإنسان وآماله المترامية، حيث تنتهي مهمة الخيال ويكون قد أدّى واجبه المطلوب منه.» (قطب، ١٩٩٦م: ٣٣-٣٢).

وكما هو واضح فإن الكاتب يري أن مهمة الخيال ومسؤولية الكاتب في استخدامه يتجسد في أمرين: أولاً: أن الخيال صلة بين الإنسان والحقيقة وثانياً: مسؤولية الكاتب هي أن يقرب الإنسان - باستخدام الخيال- من الحقيقة ولا يبعده عنها. ومن هذا المنطلق يتعد الكاتب عن الاتجاه المغالي عند الرومانسيين الذين يطلقون العنان لخيالهم، بل أن (سيد قطب) أخذ بزمام الخيال كي لا يتجاوز عن حدوده. لذا يشترط للخيال أن لا يكون فيه غلو، ويجعل للمبالغة حداً يجب أن لا يتجاوزه الأديب. ومع هذا التفسير لا يري الخيال سهواً بل يشترط فيه أن يكون متناسقاً يتلائم مع كل الأبيات، إذ يكون كل جزء من الأخيلة تكمل للآخر فتصبح أخيلة القصيدة جميعها متناسقة متلائمة، ومن جراء ذلك فلا نبحت عن وحدة الشعر في البيت أو الشطر بل نبحت عنها في القصيدة كلها.

وما يدفعنا إلي أن نري الكاتب يقرب- في خياله - من الواقعية هو ما يعتقد به الكاتب من تأثير الواقع والمجتمع والبيئة ودرجة الثقافة في خيال الأديب. إذ يري أن تنافر الأخيلة والصور قد يتأثر تارة من البيئة الطبيعية وتارة من درجة الثقافة التي تهذب الأذهان والاحساسات وقد يتأثر من الحالة الاجتماعية، وما فيها من ارتباط بين الأفراد، أو تنافر وشروء.

أما عناصر الخيال عنده فهي تتمثل في التصوير والحركة؛ وعندما يريد الأديب أن يتمتع بعنصر الخيال في الشعر يستخدم - في الغالب - التصوير والحركة بدلاً من كل عناصر الخيال. ويمكننا أن نتبع عناصر الخيال كالتشبيهات والاستعارات في التصوير، ونتبع الكنايات والمجازات في الحركة؛ ومن ثم نجده يؤكد علي التصوير فيعده ميزة في كل قصائده ولا نري قصيدة من قصائده إلا وتتمتع بعنصري التصوير والحركة. وأما الحركة فهي ميزة تضيف علي الصورة حركة، وتتمثل في استخدام روح القصص للقصائد،

كانَّ القصيدة تبدأ بقصة وتنتهي بختامها وهذه الحركة القصصية تظهر أكثرها في الحوارات .

وقبل أن ناتي بالأمثلة، لابدلنا هنا أن نشير إلي أن مصدر هذه الفكرة عند الأديب المفكر؛ يستمد جذورها (التصوير والحركة) من القرآن الكريم، وينتهي الأمر إلي أن يكتب نظريته تحت عنوان "التصوير الفني في القرآن الكريم"؛ فيعرض ويفسر فيها دعائم نظريته، كما يقول: «لقد قرأت القرآن وأنا طفل صغير، ولا ترقى مداركي إلي آفاق معانيه، ولا يحيط فهمي بجليل أغراضه ولكنني كنت أجد في نفسي منه شيئاً، لقد كان خيالي الساذج الصغير، يجسم لي بعض الصور من خلال تعبير القرآن، وإنها لصور ساذجة، ولكنها تشوق نفسي وتلد حسني، فأظل فترة غير قصيرة أتملاها، وأنا بها فرح، ولها نشيط.» (قطب، ٢٠٠٤م: ٧). أما التصوير فإن سيد قطب يراه الأداة المفضلة في أسلوب القرآن وأن هذه الأداة تمزج بالحركة: «التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن. فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعني الذهني، والحالة النفسية، و عن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن نموذج الإنساني والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد؛ وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية، فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر، فيردها شاخصة حاضرة؛ فيها الحياة، وفيها الحركة؛ فإذا أضاف إليها الحوار فقط إستوت لها كل عناصر التخيل.» (قطب، ٢٠٠٤م: ٣٦).

لذلك يمكن لنا أن ندعي بأن قصائد سيد قطب كلها لوحات مصورة، وهي تدل علي موهبة سيد قطب التصويرية التي يستمد جذورها من القرآن الكريم، كما نجده متأثراً بتساوير القرآن الكريم خاصة في المشاهد التي يصورها في قصيدة "الصبح يتنفس" وقد تأثر فيها بصور القرآن الكريم في آيات

سورة تكوير: فلا أقسم بالحنّس (١٥) الجوار الكنّس (١٦) والليل إذا عسعس (١٧) والصبح إذا تنفس (١٨):

نسمات زفها الفجر الوليد  
ناعمات مثل أنفاس الورود  
كانت الدنيا يغشيها السكون  
طفلة قد ضمها الام الحنون  
وتراعي الصبح في سمت بديع  
بعد ما جاش بها صدر الحياة  
بلل الطل شذاها بندها  
وظلام الليل والنوم العميق  
ضمة الرحمة كالأم الشفوق  
فإذا الطفلة تصحو من سبات  
(حنفي، ٢٠٠٨م: ٢٢٤).

وفضلاً عن موهبته التصويرية، نجد الكاتب يزيد علي قصائده روح القصص وينفخ فيها الحركة ويحييها كما يجب. وإليك ما أورده في تصوير "الإنسان الأخير":

صحا ذات يوم حين تصحوا البواكر  
ويشرق وجه الصبح في غمرة الدجي  
وأوغل في إطراقة ملوها الأسي  
تحث خطاها موكبا أثار موكب  
وأقبلت الآمال واليأس حولها  
وجمع فيها الخير والشر رابط  
وشتي عبادات وشتي عقائد  
وفيها من المجهول سرور وروعة  
وتستيقظ الدنيا وتجلو الدياجر  
كما تشرق آمال واليأس غامر  
فمرت عليه الذكريات العواير  
وقد جاورت فيها الماسي البشائر  
تمزقها أنيابه والأظافر  
من النفس مشدود إليها مخامر  
يؤلفها ايمان وهي نوافر  
ورغبة محروم وخوف مساور  
(حنفي، ٢٠٠٨م: ١١٤-١١٣).

تبدأ هذه القصيدة بتصوير الإنسان الذي يستيقظ من نومه ذات يوم؛ وهذا الاستهلال يشبه بالأسلوب القصصي القديم التي تبدأ القصة فيه بـ"كان ما

كان" و"كان يوم... " وبعد هذا الاستهلال القصصي نجد وكأنه يصور شخصية من شخصيات القمص بصورة متحركة تعبر عن أحاسيس "الإنسان الأخير". و حياة القصصي(روح القصصي) واضحة ومتأثرة في جميع المشاهد التي يقوم الكاتب فيها بتصوير الذكريات التي تعبر فيه "الإنسان الأخير". ويتمثل روح القصصي تارة - كما أشرنا - في استهلال القصائد وتارة يتمثل في الحوار بين الشخصيات التي يخلقها الكاتب ببراعة وهنا يوضح المثال ما لا يوضحه المقال، وإليك هذا الحوار الذي دار بين نختين: إحداهما طويلة والأخرى صغيرة في قصيدة "في الصحراء":

مالنا في ذلك القفر هنا      ما برحنا منذ حين شاخصات  
كل شيء صامت من حولنا      وارنا نحن أيضا صامتات  
أفلا تدرين يا أختي الكبيرة      ما الذي اطلعنا بين اليباب؟  
أنا يا أختاه لا أدري الجواب      ودفين السر لم يكشف لنا  
(عبدالباقي، م ١٩٨٩: ١١٨-١١٧).

يبدأ هذا الحوار القصصي من بداية القصيدة ويسير بها إلي نهايتها، فيخلق جواً قصصياً لا يدري القاري أنه يقرأ قصيدة أم هو يقرأ قصة خيالية.

نستطيع أن نستخلص مما سبق، أن سيد قطب يعتني بالخيال وبراءة ميزة للشاعر، ولكنه لا يجد ضالته في الأخيلا كالرومانسيين المغالين، بل يضع لها حداً، ويشترط بأن لا يناقض الخيال الحقيقة، بل يهدف إلي أن يقرب الخيال الإنسان من الحقيقة، ومن هذا الرؤية يدخل الخيال في عالم الواقع؛ وتتبعنا هذه الفكرة في قصة "المدينة المسحورة". ويصل بنا الحديث إلي أنه يجد ضالته في التصوير والحركة - متأثراً بالقرآن الكريم - كعنصران رئيسيان للخيال ومن ثم إهتم بمخلق اللوحات التصويرية المتحركة وكلل سعيه ذلك بالنجاح طبعاً.

بعد أن إنتهينا من دراسة القواسم المشتركة بين الواقعية والرومانسية في أعمال سيد قطب الأدبية والنقدية، حري بنا أن نتصدي لدراسة الواقعية وملاحظها في أعماله فيما يأتي:

#### ٤-٤. سيد قطب و الواقعية

إن اصطلاح الواقعية كان موجوداً في الفلسفة منذ وقت طويل، فقد كان معناه الإيمان بواقعية الأفكار، وكان نقيض السينمائية التي اعتبرت الأفكار مجرد أسماء أو تجريدات. فمرّ بهذا المذهب من تطورات عدة إذ نرى أن "غوستاف بلانش" سنة ١٨٣٣م، استخدم مصطلح الواقعية بمعنى المادية رداً علي الرومانسية. في رأيه تهتم الواقعية بالشكل الخارجي كشكل الدرع الذي يوضع علي باب القلعة أكثر من اهتمامها بالقلعة، أو بالألوان الموجودة علي رأيه يحملها فارس جرب ألم الحب أكثر من شعوره بالألم.

(1835:837، Moraalite de poesi)

أما استعمال هذا المصطلح في الأدب فبدأ في فرنسا سنة ١٨٢٦م فسرعان ما ترددت أصدااء الواقعية الفرنسية في الولايات المتحدة الأمريكية إذ تحمس لها كثير من النقاد كـ"هنري جيمس" ثم تطرق بها "ماركس وإنجلز" في الألمان. كما أنه بدأ استخدام مصطلح الواقعية في روسيا في ستينيات القرن التاسع عشر حيث إتخذ بعض النقاد شعاراً لهم (فضل، ٢٠٠٤م: ١٨-١٩) و (ويليك، ١٩٧٨م: ١٥٤-١٥٥) وأما الأدباء العرب فأخذوا الواقعية عن الغرب وكان ذلك يحدث أول الأمر في القصص القصيرة التي بدأ بها محمد تيمور، وتلاه فيها أخوه محمود، و... (خضر، ١٩٦٧م: ١٥)

أما لو نظرنا، نظرة عابرة، إلي قصائد سيد قطب، فلا نجد قصائد واقعية في الموضوع والتعبير إلا القليل بما لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة، لأنها أغلبها - كما سبق وقلنا- رومانسية التعبير وأحياناً واقعية المفهوم؛ لذا من الصعب العثور علي القصائد التي تجتمع فيها الواقعية في المفهوم والتعبير. وهذا القليل من القصائد الواقعية نظمها الكاتب قبل عشرينيات القرن العشرين الميلادي كقصيدة "إلي بلاد الشقيقة" وقصيدة "مأساة البداري" و

قصيدة "صوت الوطنية" وقصيدة "مهرجان" وقصيدة "البطل" وهو ينادي مثلاً في قصيدة "البطل" الشباب المصري، الذين يفقدون رجولتهم ولا ينتبهون إلي قضايا المسلمين الواقعية خاصة بعد موت السيد "العبيد" رئيس جمعية اللواء الأبيض في سودان .

يا شباب الشرق هذا موقف  
تقشعر الأرض منه والسماء  
ودم المختار مازال ندياً  
يستحث الخائنين الضعفاء  
يا شباب الشرق والشرق إذا  
لو تكونو جنده ضاع هباء...  
يا شباب النيل ماذا؟ ويحكم  
أفأنتم حيث يحييكم دعاء؟  
يا شباباً ناعماً مستانثاً  
كذوات الخدر في ظل الخباء!  
يا شباباً تافهاً محتقراً  
تأنف الأجيال منه في اللإزدراء  
يا شباباً همّة لذاته  
فهو يحيا بين كأس والخناء  
يا شباباً قصرت آماله  
كخشاش الأرض مرماه الغذاء!  
يا شباب النيل هل أبصرتمو  
في فق السودان كيف الشهداء؟

(حنفي، ٢٠٠٨م: ٢٥٢-٢٥١).

ومن الجدير بالذكر، أن التعابير والمفاهيم هنا كلها واقعية تنبعث من حادثة بل كارثة يعاني منها الشاعر، فهو يشكو من شباب النيل الذين لا يعتنون إلّا بالقضايا اليومية، فيقوم بتوجيههم إلي السعي والاهتمام بمسائل المسلمين كلها. ولا يهتم الكاتب بواقع المجتمع في قصائده إلّا قليلاً، ويرجع هذا إلي رؤيته إلي قضية الشعر، فهو يري بأن الشعر ليس له القدرة علي التطرق إلي مسائل المجتمع، والمهم في الشعر أن يتناول لحظات الحياة، ولذا لا يمكننا أن نجد أكثر مما ذكر من القصائد الواقعية في ديوانه؛ ومن الواجب أن نبحث عن الواقعية في قصصه التي نشرها الكاتب في أربعينيات القرن العشرين. ولا يخفي

علي المتبع لأعمال سيد قطب بأن هناك مسافة هائلة بين أفكار سيد قطب - الأدبية والنقدية- قبل الأربعينيات وبعدها، وهو ما يثير أكثر من علامة إستفهام لا يتم الجواب عليها إلا حين تتحقق دراسة حياته التي تؤثر تأثيراً عميقاً و كلياً في كل جزئية من جزئيات أفكاره وأعماله الأدبية وغير الأدبية. ولذا قبل التصدي لدراسة الواقعية في أعمال سيد قطب بعد الأربعينات يستدعي منا استحضار أمرٍ له أكثر من تأثير في حياة سيد قطب الأدبية والنقدية، لاسيما في اتجاهه نحو الواقعية الإسلامية وهي التي نقلته من الأدب الغربي إلي الأدب الإسلامي وكانت نقلته تلك بالتدريج، وكان متأثراً بالقرآن- وقد أشرنا سابقاً إلي مدي تأثير القرآن علي الكاتب في قضية التصوير الفني- إذ حاول أن يدرس القرآن دراسة أدبية وعاش في ظلاله و«الحياة في ظلال القرآن نعمة... نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها، نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه.. والحمد لله لقد من الله علي بالحياة في ظلال القرآن فترة من الزمان، ذقت فيها من نعمة ما لم أذق قط في حياتي... لقد عشت أسمع الله - تعالي- يتحدث إلي بهذا القرآن...» (عاشور، ٢٠٠٩م: ٦١).

يغنينا عن القول في بيان تأثير هذه النقلة في أدب سيد قطب فيما يورده الكاتب " في ظلال القرآن" قائلاً:«ويختفي شعور كالشعور الذي عشته في فترة من فترات الضياع والقلق، قبل أن أحيا في ظلال القرآن، وقبل أن يأخذ الله بيدي إلي ظله الكريم، ذلك الشعور الذي خلعتة روعي المتعبة علي الكون كله وعبرت عنها أقول:

وقف الكون حائراً أين يمضي؟ ولماذا؟ وكيف - لو شاء - يمضي؟  
عبث ضائع و جهد غيبين ومصير مقنّع ليس يرضي  
فأنا أشعر اليوم- والله الحمد والمنة- أن الكون لا يقف تلك الوقفة البائسة أبداً، فروح الكون تؤمن بربها وتتجه إليه، وتسبح بحمده. والكون يمضي وفق

ناموسه، الذي اختاره الله له، في طاعة، و في رضاء وفي تسليم... فأنا أعرف اليوم -ولله الحمد والمنة - إنه ليس هناك جهد عنيف، فكل جهد مجزي، وليس هناك تعب ضائع، فكل تعب مثمر، وإن المصير مرض، وإنه بين يدي عادل رحيم!» (قطب، ١٤١٥ق:ج٦: ٢٣٥٢-٢٣٥٣).

هذا النص تجتمع فيه أهم المفاهيم الفكرية والاعتقادية لسيد قطب حول الكون وكذلك الحال عند شتي القضايا الفكرية كالحياة والإنسان والآخرة والغيب... ويجد نفسه وهو غارق في لجج أفكاره الغربية الضالة، فيبدل قصاري جهوده لكي ينزه نفسه من أدران هذه الأفكار فينتج عن ذلك الصراع أنه يهدم كل ما سبق - خاصة ما يرتبط بأفكاره في ديوان " الشاطي المجهول" - ليبنى بناء جديداً علي القواعد الإسلامية؛ ويخبرنا يوسف العظم عن سيد قطب قائلاً: «غير أن أستاذنا في أخريات عهدنا به، كان يصرح بأن الديوان «الشاطي المجهول» أثر من آثار جاهليته، وكم كان يجب أن تصل يده إلي كل ما جاء فيه في كل نسخة وصلت أية بقعة في الأرض حتي يأتي عليه.» (الخالدي، ١٩٩٤م: ٢٢١).

ينم هذا الكلام عن ميل سيد قطب إلي دفع ثمن هذا الضياع مهما كان غالياً؛ ليربح في هذه التجارة فيقوم بنقد ديوانه بكلمات قاسية فيقول: «ذلك إنه «أي: سيد قطب الشاعر قبل الأربعينيات» راض عن مجموعة هذا الديوان، أما أنا «أي: سيد قطب الناقد بعد الأربعينيات» فلست راضياً عنها إلّا بمقدار، وما أزال أتطلع إلي مثل عليا، كما أخذ عليه بعض أنواع الضعف والخطأ، وما يشبه الضعف أو الخطأ في بعض الأفكار وبعض الألفاظ.» (حنفي، ٢٠٠٨م: ١٦).

وسبب هذ الشعور- كما سبق- يرجع إلي نقلته التي انتقل بموجبها إلي الأدب الإسلامي، فنجدته ينظر بالمنظار الإسلامي لكل قضايا الأدبية والنقدية. فيصبح بعدها من الذين يدعو إلي الأدب الإسلامي، و رائداً له،

فقام بإنشاء "مكتبة القرآن الجديد" وأخرج منها كتبه الثلاثة: "التصوير الفني في القرآن الكريم"، و"مشاهد القيامة في القرآن" و"في ظلال القرآن الكريم" و نسج خيوط هذه المكتبة حتي أعلن إنه سينشر أربعة كتب أخرى، وهي "القصة بين التوراة والقرآن" و"المنطق الوجداني في القرآن" و"النماذج الإنسانية في القرآن" وأساليب العرض الفني في القرآن" ولكن حياته السياسية وظروفه القاسية لم تسمح له الفرصة حتي ينشرها، بل عدل عنها بسبب انضمامه إلي حركة الإخوان المسلمين، ليموت وتعيش أفكاره .

إذ سيد قطب ينظر إلي الأدب علي أنه تعبير عن القيم، وليست هذه القيم إلّا منبثقة من تصور الأديب للحياة والإنسان والكون، و«كذلك من العبث محاولة فصل تلك القيم عن التصور الكلي للحياة والارتباطات فيها بين الإنسان والكون، وبين كون الإنسان يشعر بأن له تصوراً خالصاً للحياة أو لا يشعر، لأن هذا قائم في نفسه علي كل حال. وهو الذي يحدد قيم الحياة في نظره، ويلون تأثيراته بهذه القيم.» (قطب ، لاتا: ١٢).

ويورد من الشاعر الإيراني "عمر الخيام" هذه البيت نموذجاً «لبست ثوب العمر لم أستشر وحررت فيه بين شتي الفكر» (قطب ، لاتا: ١٢).

ويستنتج قائلاً «كان له تصور معين للحياة والارتباطات فيها بين الإنسان والكون. ومن هذا التصور انبعث كل ايقاعاته، وتلونت قيم الحياة في نفسه.» (قطب ، لاتا: ١٢).

وهكذا لا يفصل سيد قطب الأدب عن تصورات الأديب، ومن ثم يهدف إلي تفسير وبيان التصورات الإسلامية للكون وللإنسان وللحياة في الكتابين القيمين "خصائص التصور الإسلامي" و"مقومات التصور الإسلامي". فأصبح أديباً إسلامياً واقعياً؛ يبذل قصاري جهده ليثبت أن دين الإسلام دين واقعي

ينظر إلي الكون والإنسان والحياة بنظرة واقعية، ومن منطلق هذا التصور يري بأن الأدب من أخصب الميادين لتناول مسائل الإنسان والمجتمع والكون، و كذلك يمزج بين الفكرة والعاطفة والخيال، وفي الحقيقة يمزج بين رومانسية التعبير وواقعية الأفكار.

ومن هنا ينتظم الأساس الذي بني عليه سيد قطب بنيان عقيدته تجاه الواقعية في الأدب، ويصبغها بصبغة إسلامية وأساس هذه الواقعية ثابتة، وهذه الميزة تجعلها أن تكون موجهة تهدف إلي التحسين والإصلاح وتغيير هذا الواقع : «الأدب أو الفن المنبثق من التصور الإسلامي أدب أو فن موجه ، يحكم أن الإسلام حركة تطوير مستمرة للحياة، وهو لا يرضى بالواقع في لحظة أو جيل ولا يبرره أو يزينه لمجرد إنه واقع، فمهمته الرئيسية هي تغيير هذا الواقع وتحسينه.» (قطب، لاتا: ١٨).

ولا يمكننا القيام بهذا الإصلاح وهذا التحسين عن طريق الواقعية الغربية المادية التي تعتمد علي «الطبقة التي تتمتع بأدوات الانتاج المادية، فهذه الطبقة تسيطر - علي كل حال- علي أدوات الانتاج الذهني، فأما الذين لم يكن لديهم أدوات انتاج الذهني فيبقون علي تحكم هذه الطبقة.» (هارلند، ١٣٨٦م: ١١٨). و«حين يسيطر المنطق المادي النفعي الموقت علي التفكير الإنساني، الفطري في الأصل، يحرفه عن وجهته الصحيحة، ويمسح حدوده، ويعمي السبل أمامه فلا يتبين وجهته، ولقد كان واقع الأرضي دائماً جزءاً صغيراً جداً من واقع متسع الآفاق» (ساعي، ١٩٨٥م: ١٥).

ويمكن أن نشير إلي قصيدة سيد قطب الأخيرة التي أهداها إلي أخيه تحت عنوان " أخي " فهي برهان علي ما سقناه في معرض دراسة واقعيته الإسلامية، ونشير من خلالها إلي أبرز ملامح واقعيته الإسلامية وبالاختصار نشير إلي أبرز الفوارق بين واقعيته الإسلامية والواقعية الغربية والاشتراكية.

إن سيد قطب ينادي في بداية القصيدة أخيه وينادي به كل مسلم وهو يتطلع إلي المستقبل الزاهر، وليس هذا الأمل للمستقبل إلّا من نتائج تصوّره الواقعي الإسلامي، «فالواقعية الأوروبية واقعية نقدية تعني بوصف التجربة كما هي، حتي لو كانت تدعو إلي التشاؤم العميق الذي لا أمل فيه، حين تحتم الواقعية الاشتراكية أن يثبت الكاتب في تصوّره للشر دواعي الأمل في التخلص منه فتحاً لمنافذ التفاؤل حتي في أحلك المواقف ولو أدّى إلي تزييف الموقف بعض الشيء... أما الواقعية الإسلامية، فإنها مع انتقادها للواقع-تنطلق في انتقادها من التصور الاسلامي... فان الأمل في الواقعية الإسلامية، هو أمل إيماني يقوم علي أساس نصر الله في كل الأحوال، حياة وموتاً، إنها باختصار ترفض التشاؤم كما ترفض التفاؤل الذي يقوم علي الخداع أو التزييف.» (القاعود، ١٩٩٤م: ١٧-١٦).

وينظر إلي الإنسان بأنه حر بمقتضيات التكوين و علي حد طاقاته التي يعطيها الله له، خلافاً عن الواقعية الغربية التي ترفع الإنسان إلي مقام الألوهية وخلافاً عن الذين يحتقرونه ولا ينظرون إليه إلّا من منظار الشر. ويرى أن القيود والسدود تتناسق مع الفطرة الإنسانية وستبدي يوماً بالعمل والحركة.

أخي أنت حر وراء السدود      أخي أنت حر بتلك القيود  
إذا كنت بالله مستعصماً      فماذا يضريك كيد العبيد  
أخي ستبدي جيوش الظلام      ويشرق في الكون فجر جديد  
فاطلق لروحك اشراقها      تري الفجر يرمقنا من بعيد

ويصف معاناة الجيل المسلم وهو يرنو إلي مستقبل قابل للتحقيق، بصبر جميل منبعث من تصوّره الإسلامي وهذا هو مفترق الطريق بين الواقعية الإسلامية والواقعية الاشتراكية التي تفصل الإنسان من الروح وتحسبه جسداً مادياً لامهرب من هلاكه ولا أمل لحياته الأخرى .

أخي قد اصابك سهم ذليل      وغدرا" رماك ذراع كليل  
ستبتر يوماً" فصبر جميل      ولم يدم بعد عرين الاسود  
أخي قدسرت من يديك الدماء      ابت أن تشل بقيد الماء  
سترفع قربانها... للسماء      مخضبة بوسام الخلود

وهو يدعو هنا المسلمين إلي المقاومة والكفاح لإصلاح مجتمع المسلمين لتكريم الإنسان؛ وهو مفترق الطريق بين الواقعية الإسلامية والواقعية الاشتراكية التي تبني علي الحقد الطبقي فحسب. «وإذا كانت الواقعية الانتقادية والواقعية الاشتراكية توجهان سهام ندهما للطبقة الوسطي (البرجوازية) لأنها ظلمت الطبقة الدنيا، وأنزلت بها أسوأ أنواع القهر والغبن عندما وصلت إلي السلطة، فإن الواقعية الإسلامية... تنتقد الفئة الظالمة والأفراد الظالمين أيا كان انتماءؤهم، إلي الطبقة العليا أو الطبقة الوسطي أو الطبقة الدنيا، علي السواء.» (القاعد، ١٩٩٤م: ١٨).

أخي هل تراك سئمت الكفاح      والقيت عن كاهليك السلاح  
فمن للضحايا يواسي الجراح      ويرفع رايتها من جديد  
أخي هل سمعت أنين التراب      تدك حصاه جيوش الخراب  
تمزق أحشاءه بالخراب      وتصفعه وهو صلب عنيد

ويعصور نفسه كالبطل الذي يلعب دوره في الكفاح ولا بد من الإشارة علي أنّ البطل في الأدب الواقعي الإسلامي يجب أن يكون إنساناً عادياً «وفي الوقت ذاته يبلغ الإنسان أقصى كماله الإنساني المقدر له، عن طريق العمل والحركة، وتلبية الطاقات والأشواق لا كتبها أو كفها عن العمل ولا إهدار قيمتها، واستقدار دوافعها.» (قطب، ٢٠٠٢م: ١٨٧-١٨٦) وهذه الفكرة منبعثة من تصوير شخصيات الأنبياء- عليهم السلام -في القرآن عندما يصفهم الله بأنهم بشر مثلكم التأكيد من الآية القرآنية الكريمة "قل أنا بشر مثلكم..."

أخي إنني اليوم صلب المراس  
غداً" ساشيح بفاس الخلاص  
أخي أن ذرفت علي الدموع  
فاوقد لهم من رفاتي الشموع  
ادك صخور الجبال الرواس  
رؤوس الافاعي إلي أن تبسب  
و بللت قبري بها في خشوع  
وسيروا بها نحو مجد تليد  
وهذا هو المصير الذي يرسم لكل من يهاجر إلي الله وفي هذا التصور  
الإسلامي تمتزج الواقعية الإسلامية بالاعتقاد بالغيب ويرى بأن الاعتقاد  
بالغيب، يلبي حاجة الفطرة البشرية إلي مجهول. وهو مفترق الطريق بين  
الواقعية الإسلامية والواقعية الغربية «أما الواقعية الإسلامية فتتجاوز البصر إلي  
البصيرة (الاعتقاد بالغيب)، فترى بعينها الثاقبة المتزودة بنور الله ما لا يمكن  
للعلم بأرقامه وقوانينه الأرضية أن يراه. (ساعي، ١٩٨٥م: ١٧).

أخي أن نمت نلق احبابنا  
فروضات ربي اعدت لنا  
واطيارها رفرفت حولنا  
فان انا مت فاني شهيد  
قد اختارنا الله في دعوته  
فمننا الذين قضوا نحبهم  
وليس مطلباً عسير المنال أن يثور الكاتب لربه ولدينه، فإن جذور عقيدته  
ضاربة في تصوره الإسلامي للدين والإسلام عنده دين للواقع، دين يدعو  
للحياة، وللحركة، ودين يدعو للعمل والتتاج والنماء، دين تطابق تكاليفه  
للإنسان فطرة هذا الإنسان، وهو مفترق الطريق بين الواقعية الإسلامية  
والاشتراكية التي لا تعتقد بالدين وتكون محور حركتها الصراع الطبقي.

سأثار لكن لرب ودين  
فأما إلي النصر فوق الانام  
وامضي علي سنتي في يقين  
وأما إلي الله في الخالدين

ويسعى أن يكون أدبه موجهاً لتوجيه الفرد والمجتمع ويعد ذلك التوجيه الرسالة الخلفية للواقعية الإسلامية فيعتني سيد قطب بالتعبير عن هموم المظلومين والمقهورين والمستضعفين من عامة الناس. ولكن ينصرف من الشعر والقصص إلي كتابة المقالات الأدبية والاجتماعية. فهو يعتقد كل الاعتقاد بأنه يمكن أن يجعل المقالة في جدول الأعمال الأدبية إذ يري في المقالة تصور انفعال كاتبها تجاه مؤثر ما فيتشابه المقالة بالقصيدة. ويقوم في وقت نفسه بكتابة الكتب الاجتماعية ويصور فيها أهم مسائل الاجتماعية كأنها مفاتيح لفتح أقفال التي يصورها سابقا في قصصه. مثلاً كان نشر من قبل قصة "طفل من القرية" ويصف فيها الفقر والقضايا الاجتماعية، ثم يكتب كتاب "العدالة الاجتماعية في الإسلام" يصور في هذا الكتاب نفس القضايا التي أوردتها في قصته المذكورة بشكل آخر. ويرى أن الحل الوحيد هو الرجوع إلي حضن العدالة الإسلامية، ومثل هذا يكتب "السلام العالمي والإسلام" و"دراسات إسلامية" و"هذا الدين" و"المستقبل لهذا الدين" و"الإسلام ومشكلات الحضارة" و"معالم في الطريق".

## ٥. النتائج

أولاً: إن أعمال سيد قطب الشعرية - قبل أربعينيات القرن العشرين- تنضوي تحت الرومانسية وملامحها متناثرة في كل قصيدة ؛ والمهم هنا، إنه لم يبق علي وتيرة واحدة بل غير بتغيير ظروف حياته وهذه الظروف تدفعه إلي أن يتأرجح بين الرومانسية والواقعية..

ثانياً: يهتم الكاتب بالقواسم المشتركة بين الرومانسية والواقعية. فهو يتأرجح بينهما، ومن تلك القواسم التجربة و الاهتمام بالتفاصيل وأسلوب الخيال؛ وفي ظلال هذه القواسم يعارض سيد قطب "التجربة العلمية" ويرى "التجربة الأدبية" كمادة أصيلة للعمل الأدبي وفي الوقت نفسه يسعى أن يبين مجالات "التجربة الأدبية". وهو يري بأن الشعر له أرضية مناسبة لأن يكون ميداناً لعرض تجربة اللحظات، والقصة لها أرضية

مناسبة لأن تكون ميداناً لعرض تجارب الحياة. ومن هنا يهتم ببيان تفاصيل هذه التجارب والاتجاه السائد عنده الترحيب بتعدد الأساليب ورغم هذا يمكن أن نستنتج بأنه قام تارة بوصف الأحاسيس والمشاعر كالرومانسيين وتارة مال في وصفه إلي الواقعيين خاصة عندما يصف عناصر قصصه أو شعره وصفاً جسدياً شكلياً. وبعد تتبعنا لمفاهيم الخيال عند سيد قطب، لاحظنا بأنه لا يغور في الأخيلة كالرومانسيين، بل يضع لها حدوداً حتى لا يتجاوز خيال الأديب الحقيقي أولاً وأن تقرب القاري إلي الحقيقة ثانياً. ومن منطلق هذا الاتجاه يتعد الكاتب عن الرومانسية ويقترب إلي الواقعية. وأما مجالات الخيال عنده فهي تستقر بين التصوير والحركة. ويستمد سيد قطب جذور هذا الخيال – التصوير والحركة – من القرآن الكريم ويجذو حذو القرآن كما تبدو ميزات التصوير والحركة في غالب أعماله الأدبية.

### قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبديء به القرآن الكريم

### **الكتب**

1. حنفي حسن (٢٠٠٨م)، ديوان سيد قطب الأعمال الشعرية الكاملة، دمشق، مركز الناقد الثقافي، الطبعة الأولى.
2. الخالدي صلاح عبدالفتاح (١٩٩٤م)، سيد قطب من الميلاد إلي الاستشهاد، دمشق، دار القلم، الطبعة الثانية.
3. خضر عباس، (١٩٦٧م)، الواقعية في الأدب، دار الجمهورية بغداد، وزارة الثقافة والإرشاد مديرية الثقافة العامة.
4. ساعي احمد بسام (١٩٨٥م)، الواقعية الاسلامية في الادب والنقد، السعودية، جدة، دار المنارة، الطبعة الاولى.
5. عاشور وصفي ابوزيد (٢٠٠٩م)، في ظلال سيد قطب، لمحات من حياته وأعماله ومنهجه التفسيري، مصر، صوت القلم العربي، الطبعة الأولى.

سيد قطب بين الرومانسية والواقعية الإسلامية.....(255)

٦. عبد الباقي محمد حسين (١٩٩٣م). سيد قطب، حياته و ادبه، منصوره، دار الوفاء، الطبعة الأولى .
٧. عبد الباقي محمد حسين(١٩٨٩م)، ديوان سيد قطب، القاهرة، دار الوفاء، الطبعة الأولى .
٨. فضل صلاح(١٩٨٠م)، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، القاهرة دار المعارف.
٩. القاعود حلمي محمد(١٩٩٤م)، الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني دراسة نقدية، دم، دط.
١٠. قطب سيد (٢٠٠٢م)، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الخامسة عشر.
١١. قطب سيد(١٤١٥هـ) في ظلال القرآن، المجلد السادس، القاهرة ، دار الشروق، الطبعة الثالثة والعشرون.
١٢. قطب سيد(١٩٤٧م)، الأشواق، قاهرة، دار سعد.
١٣. قطب سيد(١٩٨٣م)، كتب وشخصيات، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الثالثة.
١٤. قطب سيد(١٩٩٦م)، مهمة الشاعر في الحياة وشعر جيل الحاضر، منشورات الجمل، كولونيا-المانيا، الطبعة الأولى.
١٥. قطب سيد(١٩٩٧م)، مقومات التصور الإسلامي، القاهرة، دار الشروق ، الطبعة الخامسة.
١٦. قطب سيد(٢٠٠٣م)، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الثامنة.
١٧. قطب سيد(٢٠٠٤م)، التصوير الفني في القرآن، القاهرة، دار الشروق، الطبعة السابعة عشر.
١٨. قطب سيد(دت)، في التاريخ فكرة ومنهاج، القاهرة، دار الشروق، دط.
١٩. قطب سيد، (١٤٢٨هـ)، طفل من القرية، منشورات الجمل، كولونيا -المانيا، الطبعة الأولى .
٢٠. قطب سيد، (٢٠٠٦م)، المدينة المسحورة ، دن، دط.
٢١. قطب سيد، قطب محمد، قطب امينة، قطب حميدة(٢٠١٥م)، الاطياف الاربعة، مركز الإسلام العربي، الطبعة الأولى .

سيد قطب بين الرومانسية والواقعية الإسلامية.....(256)

٢٢. لامارك پيتر، (١٣٩٦ش)، فلسفه ادبيات، ترجمه ميثم محمد اميني، تهران، فرهنگ نشر نو، چاپ اول.

٢٣. مندور محمد. (١٩٩٨ م). الأدب ومذاهبه. القاهرة.

٢٤. هارلند ري چارد، (١٣٨٦ش) ترجمه دكتور بهزاد برکت، ديباچه اي تاريخي بر نظريه ادبي از افلاطون تا بارت، دانشگاه گيلان، چاپ اول.

٢٥. ويليك رينه (١٩٧٨م)، مفاهيم نقدية، ترجمة محمد عصفور، الكويت: عالم المعرفة.

26. bressler Charles e ، (٢٠٠٣م) ، literary criticism an introduction to theory and practice ، Indiana Wesleyan University ، th Edition ، Second Printing. □

27. Moralite de la poesie, Revue des deux mondes, I, ١٨٣٥ □

### المقالات

١. احمدزاده علي، روشنفکر کبري (١٣٩٥ش). واکاوي روانشناختي مضامين مشترك در

أشعار سيد قطب و ديوان تركي شهريار، ادب عربي ، العدد الاول، ص ٣٨-١٩.

٢. سرباز حسن (٢٠١٠). سيد قطب و تراثه الأدبي و النقدي، اللغة العربية وآدابها، المجلد السادس، العدد العاشر، ص ٥٦-٤١.

٣. سليمي علي ، نعمتي فاروق (١٣٩١ش). سيد قطب وملامح الرومانسيه في شعره، دراسات في العلوم الإنسانية، العدد الرابع، المجلد ١٩، ص ٣٥-١٧.

٤. معروف يحيي ، نعمتي فاروق (١٣٩٠ش). بررسي تطبيقي رمأت يسم در أشعار سيد قطب و نادر ناديرپور، أدبي ات تطبيقي، العدد الخامس، ص ٢٧٨-٢٥٣.

٥. ملازاده ريحانه (١٤٣١هـ). الرومانسية في شعر سيد قطب، التراث الأدبي، العدد السابع، ص ١٣٤-١١٩.

٦. نعمتي فاروق؛ سليمي علي ؛ اميري جهانگير (٢٠١٤م). سيد قطب شاعراً (دراسة وتحليل في خصائصه الشعرية)، اللغة العربية وآدابها، ص ٣٦٨-٣٤١.

٧. نعمتي فاروق ؛ أميري جهانگير ؛ سليمي علي ؛ كريمي عبدالسلام (١٣٩٣ش). الإغتراب ومظاهره في شعر سيد قطب (دراسة وتحليل)، ادب عربي، العدد الواحد، ص ٢٣٨-٢١٧.